فَضْلُ التَّوحِيْدِ وَثِمَارُهُ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمدُ لله ربِّ العالمين ، والصَّلاةُ والسَّلامُ على محمدٍ الأمين ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعـــد :

إخواني اجتهدوا اليوم في تحقيق التوحيد ؛ فإنّه لا يُنجي من عذاب الله إلا إيّاه ، وما نطق الناطقون إذْ نطقوا أحسنَ من **لا إلهَ إلّا الله** ، وما استُجلِبت النِّعم ، ودُفِعت الشَّدائد والنِّقَم بِمِثلِ توحيدِ الله . فالتوحيد هو :

- السبب الأعظم لتفريج كُرُبات الدُّنيا والآخرة ؛ يدفع الله به العقوبات في الدَّارَين ، ويبسُط به النِّعمَ والخيرات . وما دُفِعت شدائد الدُّنيا بمثل توحيد الله ؛ لذا كان دعاءُ الكرب بالتوحيد : (**لا إلَهَ إلَّا اللهُ العَظِيمُ الحَلِيمُ، لا إلَهَ إلَّا اللهُ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ، لا إلَهَ إلَّا اللهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ ورَبُّ الأرْضِ، ورَبُّ العَرْشِ الكَرِيمِ**) . ودعوة ذي النُّون بالتَّوحيد ما دَعا بها مكروبٌ إلّا فرّجَ اللهُ كَرْبَهُ : ﴿ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ الأنبياء: ٨٧
- ومِن أدعية تفريج الكربات بالتوحيد : إرشادُه – عليه الصلاة والسلام – إلى قَوْلِ : (اللهُ اللهُ ربِّي ؛ لا أُشْركُ بِهِ شَيئًا) . فلا يُلْقِي في الكُرَب العِظام إلّا الشِّرْك ، ولا يُنجِي منها إلا التَّوحيد .

إخواني تمسَّكوا بالتوحيد ، وعضُّوا عليه بالنّواجذ ، وحقِّقوا توحيد الله في أنفسكم وأهليكم ، وتعلَّموه ، وطبِّقوه ، وادعوا إليه . فالتوحيد هو :

🕮 أوّلُ دعوة الرسل ، وأوّلُ منازل الطريق ، وأوّلُ مقامٍ يقوم فيه السالك إلى الله -عزَّ وجلَّ- . وهو الأصل العظيم الذي تقوم عليه جميع رسالات الرسل ، وما من نبيٍّ إلا كان التوحيدُ عِمادَ دعوته ، وباكورةَ منهجه .

🕮 الطريق الوحيد إلى الوصول إلى الجنة ، وهو أصل الإيمان ، وهو الفارق بين أهل الجنة وأهل النار ، وهو ثَمَن الجنة ، ولا يصح إسلام أَحدٍ إلَّا به .

فمن كثُرتْ ذنوبه فعليه بالتوحيد ؛ لأنه :

🕮 السبب الأعظم من أسباب المغفره ؛ فَمن فَقَده فَقَدَ المغفرةَ ، ومن اسْتَيْقَنَهُ فقد أتى بأعظم أسباب المغفرة ؛ قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ النساء: ١١٦ . قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- : «فمن أحسَّ بتقصيرٍ في قَولِه ، أو عملِه ، أو حالِه ، أو رِزقه ، أو تقلَّب قلْبُه ؛ فَعليه بالتوحيد والاستغفار ؛ ففيهما الشفاء ، إذا كان بصِدْقٍ ، وإخْلاصٍ» . مجموع الفتاوى ١١/٦٩٨ .

فمن أراد الأمن والهداية والطمأنينة في الدنيا والآخرة فعليه بتوحيد الله :

🕮 قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴾ الأنعام: ٨٢ . فالتَّوحيدُ والتوكُّل على الله ، والاعتقاد الجازم بأنَّ الأمرَ كلَّه بيد الله -يجْعل حياةَ الموحِّدِ كلَّها أمنًا وأمانًا وطُمَأْنينةً ، وراحةً في الدنيا والآخرة . وقد تكفَّلَ الله لأهلِ التوحيد بالفتح والنصر والتأييد في الدنيا ، والتَّيسير لليُسرى .

📖 وأما المشركون فهم أكثَرُ النّاسِ خَوفًا ورُعبًا وهَلعًا . قال تعالى: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا﴾ آل عمران: ١٥١ . أيْ : ألقى الله في قلوبهم الرعب بسببِ شِرْكهم .

📖 وأهلُ التوحيدِ هم أقوى الناس إيمانًا ، وأصَحُّهم عقيدةً ، وأكثرُهم أجرًا ؛ فأعمالهم تُضاعَف مضاعفةً كبيرةً ، ودرجاتُهم تُرفع ، وتعلو بهم عُلُوًّا لا يُدانيهم فيه أحدٌ :

📖 التَّوحيدَ يُصيِّرُ القليلَ مِن عمل العبدِ كثيرًا ، ويُضاعِف أعمالَه وأقوالَه الطَّيِّبة بغير حصْرٍ ولا حسابٍ . قال ابن القيم -رحمه الله تعالى- : «وأهل السنة إن قَعدَتْ بهم أعمالُهم قامت بهم عقائدُهم . وأهلُ البدع إذا قامت بهم أعمالُهم قعدت بهم عقائدهم» .

📖 بالتوحيد والإخلاص تُقبل جميعُ الطَّاعات ؛ مِن صلاةٍ ، وصيامٍ ، وزكاةٍ ، وصدقةٍ ، وحجٍّ ، وعمرةٍ ، وغيرها .

📖 بفُقدان التوحيد والاخلاص تكون هذه الأعمال هباءً منثورًا . قال تعالى عن أعمال المشركين والـمُرائين : ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ الفرقان: ٢٣

واعلموا إخواني - رعاكم الله - أن :

📖 التوحيد هو من أعظم أسباب انشراح الصُّدور ؛ يُخَفِّف عن العباد المكارِهَ ، ويُهوِّنُ عليهم المصائبَ والآلامَ . قال شيخ الاسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- : «ليس في القلوب سُرورٌ ولَذَّةٌ تامة إلا في صُحبة الله تعالى ، والتقرُّب بما يحِبُّهُ . ولا تَتِمُّ محبَّةُ الله إلا بالإعْراضِ عن كُلِّ محبُوبٍ سِواهُ . وهذه حقيقة **لا إله إلا الله**» .

📖 مِن أجَلِّ وأعظمِ نِعَمِ التَّوحيدِ : أنَّهُ يمنع الخلود في النار إذا كان في القلب مِنْهُ مثقالُ حبَّةٍ خردل . وأمّا إذا كمُلَ التوحيد في القلب فإنّه يمنع دخول النّارِ بالكلية .

وما أَرْوَعَ ما سطّره العلامة ابن سعدي – رحمه الله تعالى – موضّحًا فضائل التوحيد ؛ حيث قال : «اذا كمُل التوحيد في القلب حَبَّبَ الله لصاحبه الإيمانَ ، وزيَّنهُ في قلبه ، وكرَّهَ إليه الكُفرَ ، والفُسوقَ ، والعِصيانَ ، وجَعَلَهُ مِن الراشدين» .

اعلموا – إخواني الكرام – :

📖 أن فضائلَ التوحيد وثمراتِه العظيمة أكثرُ مِن أنْ تُحصى .

ندعو الله تعالى أن يجعلنا وإياكم من أهل التوحيد ، الثابتين عليه ، الداعين إليه . إنه هو السميع العليم .

أخوكم

عبد الستار الجنابي